لماذا مدرسة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1]

في شِعب من شِعاب مكة يقال له شِعب أبي طالب، أو شعب بني هاشم، حاصرت قريش عشيرة بني هاشم[2]، وهي عشيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أعلنت حمايتها له،

---

(1) سورة التوبة، الآية: (100).

(2) بنو هاشم نسبة لهاشم بن عبد مناف سيد قريش والجد الثاني لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسم هاشم الحقيقي هو عمرو بن عبد مناف، وقد سمي هاشم بهذا الاسم لكونه كان يهشم الثريد للحجاج في مكة المكرمة، أي: يكسر الخبز في المرق لهم، وتوفي هاشم جد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مدينة غزة الفلسطينية في تجارة لها في رحلة قريش السنوية للشام، لذلك تسمى مدينة غزة بغزة هاشم.

OlxBooks.com

وأضافت قريش لهذا الحصار عشيرة بني المطلب[1] التي أعلنت وقوفها مع أبناء عمومتهم من بني هاشم في الدفاع عن ابنهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتعاهد زعماء قريش ألا يتعاملوا معهم بأي شكل من المعاملات، كالبيع والشراء والزواج، وعلقوا صحيفة بهذا المضمون في الكعبة، وكان هدف قريش من هذا الحصار القاسي هو الضغط على بني هاشم وبني المطلب لترك حماية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أعلن رفضه لكل العروض والمغريات التي عرضتها عليه قريش لترك دعوة الإسلام.

وفي أواخر أيام الحصار القاسي الذي استمر لثلاث سنوات،

---

(1) بنو المطلب: نسبة للمطلب بن عبد مناف عم جد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد المطلب بن هاشم، والمطلب هو الذي أتى بعبد المطلب من عند أخواله من بني النجار من يثرب، فبعد موت هاشم في غزة، عاش عبد المطلب، واسمه الحقيقي شيبة، في يثرب مع أمه التي كانت تنتمي لبني النجار من قبيلة الخزرج، ولكن عمه المطلب ذهب إلى يثرب ليحضره، فأردفه على بعيره ورجع به إلى مكة، فلما دخل به إلى مكة اعتقدت قريش أن ذلك الفتى عبد من عبيد المطلب، فقال القرشيون: عبد المطلب. فقال المطلب: لا إنما هو ابن أخي شيبة. ومن هنا جاء اسمه الذي لزمه طيلة حياته: عبد المطلب!

OlxBooks.com

وفي ظل هذه الظروف الصعبة، وُلد في هذا الشِّعب مولود للعباس بن عبد المطلب عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجيء به للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله، وبعد هجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، عاش هذا الطفل في مكة أثناء إقامة والديه فيها، فلم يدرك إلا فترة زمنية قصيرة نسبيًا بصحبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي توفي وعبد الله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتجاوز خمس عشرة سنة[1].

ولكن العجيب بالأمر، أن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أصبح من أهم علماء الدين الإسلامي عبر التاريخ، فصار ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يلقب بألقاب كثيرة مثل: ترجمان القرآن، وحَبر[2] الأمة، وبحر العلم، وكان الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلقبه بـ فتى الكهول[3]، وبالرغم من حداثة سنه، كان الخلفاء الراشدون يقربونه ويستشيرونه في قضايا الدولة المهمة، فكان مستشارًا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان ممثل أمير المؤمنين

---

(1) «سير أعلام النبلاء» للذهبي.

(2) حَبر الأمة: أي عالم الأمة.

(3) «سير أعلام النبلاء» للذهبي.

OlxBooks.com

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مناظرة الخوارج الذين خرجوا عليه، وبعد أن استمع الخوارج إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رجع منهم ألفان بعد أن اقتنعوا بالحجج العلمية والعقلية التي بينها لهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأسلوبه المفهوم وبحر علمه الزاخر.

والسؤال الذي يدعو للعجب بالفعل: كيف تمكن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الوصول إلى هذه المكانة العلمية الكبيرة بالرغم من حداثة سنه وصحبته القصيرة نسبيًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

والجواب حسب ما أرى يتلخص في ثلاثة أمور عملت على صناعة شخصية عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

1- الذكاء الفطري:

تميز ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالذكاء ورجاحة العقل، وهذا ما لاحظه خال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابي سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين وصف ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

«ما رأيت أحدًا أحضر فهما، ولا أكبر لبًّا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس»[1]

---

(1) «تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للذهبي.

OlxBooks.com

ومن المعلوم أن من أهم صفات الأذكياء كثرة السؤال عن طبيعة الأشياء، وحتى بعد حصولهم على المعلومات التي يبحثون عنها، لا يكتفون بحفظها، بل تقوم عقولهم بعمليات تحليلية لتلك المعلومات، وهم بذلك يختلفون عن كثير من البشر ممن يكتفون بترديد ما يُلقن لهم دون فهم أو تحليل، وقد لخص عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذا الأمر بنفسه:

«قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كيف أصبت هذا العلم؟!
قال: لسانًا سؤولًا، وقلبًا عقولًا»(1)

2- بركة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

نال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بركة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ لحظات حياته الأولى، وتروي أمه الصحابية أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ولادتها لعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

«بينا أنا مارَّةٌ والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحُجَرِ، فقال يا أمَّ الفضلِ. قلْتُ: لبَّيك يا رسولَ اللهِ. قال: إنَّكِ حامِلٌ بغُلامٍ.

(1) «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل.

OlxBooks.com

قلْتُ: كيف وقد تحالَفَتْ قريشٌ لا يُوَلِّدون النِّساءَ. قال هو ما أقولُ لكِ، فإذا وضَعْتيه فائْتيني به. فلمَّا وضَعْتُه أتيتُ به النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسمَّاه عبدَ اللهِ، وألْبَاه بريقِه، قال: اذهَبي به فلَتَجِدَنَّه كَيِّسًا[1]»[2]

وقد دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قائلًا:

«اللَّهمَّ فقِّهْهُ في الدِّينِ وعلِّمْه التَّأويلَ»[3]

3- حرصه على التعلم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

لمّا توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان عدد صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كبيرًا، ولكن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يدرك بأن هذا الأمر مؤقت، وأنهم مع مرور الوقت سيفارقون الحياة واحدًا واحدًا، وخشي أن يضيع ما في صدورهم من علم تعلموه مباشرة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك رأى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ضرورة الإسراع بالتعلم من مدرسة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويروي

---

(1) كيسًا: فطنًا وذكيًا.

(2) «مجمع الزوائد» للهيثمي.

(3) «صحيح ابن حبان».

OlxBooks.com

عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كيف أنه كان تنقل بين أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتزود منهم العلم، وكيف أن هذا العلم الذي تعلمه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان سببًا في وصوله لما وصل إليه من مكانة علمية جعلت الناس تأتيه لكي يتعلموا منه:

«لمَّا تُوُفِّيَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلتُ لِرَجُلٍ مِنَ الأنصارِ: هَلُمَّ نَسألْ أصحابَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّهمُ اليَومَ كَثيرٌ. فقال: واعَجَبًا لكَ يا ابنَ عبَّاسٍ، أتَرى الناسَ يَحتاجونَ إليكَ، وفي الناسِ مِن أصحابِ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مَن تَرى؟ [فتَرَكتُ] ذلك، وأقبَلتُ على المَسألةِ، فإنْ كان لَيَبلُغُني الحَديثُ عنِ الرَّجُلِ، فآتيه وهو قائِلٌ، فأتوَسَّدُ رِدائي على بابِه، فتَسْفي الرِّيحُ علَيَّ التُّرابَ، فيَخرُجُ، فيَراني، فيَقولُ: يا ابنَ عَمِّ رَسولِ اللهِ، ألَا أرسَلتَ إليَّ فآتيكَ؟ فأقولُ: أنا أحَقُّ أنْ آتيَكَ، فأسألَكَ. قال: فبَقيَ الرَّجُلُ حتى رآني وقدِ اجتَمَعَ الناسُ علَيَّ، فقال: هذا الفَتى أعقَلُ مِنِّي!»[1]

(1) البوصيري «إتحاف الخيرة المهرة».

OlxBooks.com

مُحتَوياتُ الكِتاب

OlxBooks.com

محتويات الكتاب

- لماذا مدرسة الصحابة رضي الله عنهم؟ 5
- المناصرة 27
- الوفاء 45
- الفكر المتحرر 58
- لا تكن عبدًا للمال! 82
- اتباع السنة 92
- التضحية 113
- حرمة الاعتداء على الأبرياء 140
- الثبات الانفعالي 156
- الصحابة المحررون 183
- وداعًا أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم 214
- المراجع 221
- محتويات الكتاب 231

OlxBooks.com